



ISSN : 2335-1071

فصل الخطاب



ISSN: 2335-1071

مخبر الخطاب الحجاجي
أصوله ومرجعياته وأفاقه في الجزائر
جامعة ابن خلدون - تيارت

*Laboratoire du discours argumentatif
ses origines, ses références ses perspective en Algérie
Université Ibn-Khaldoun-Tiaret*

العدد الخامس عشر

فصل الخطاب

هلف العدد:

النسق العقدي في التأويل البلاغي
الفلسفة الهيرمينوطيقية...مدخل إلى أسس التأويل
اللغة الأدبية والفكر وعالم الأشياء
الخطاب الحجاجي القرآني الموجه لبني إسرائيل
الحجاج بالتمثيل في الخطاب القرآني

سبتمبر 2016

سبتمبر

2016 Septembre
Revue n°15

Faslo El-Khitab

(Art d'Argumenter)

Septembre 2016

العدد 15

المجلد الرابع

دورية أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث
العلمية والنقدية واللغوية والأدبية والبلاغية
باللغتين العربية والأجنبية

Faslo El-Khitab

*Revue périodique a vocation scientifique, traitant
des domaines de la critique littéraire, la linguistique
et la rhétorique en langues arabe et étranger*

Revue N 15

Volume 04

فصل الخطاب

دورية أكاديمية محكمة يصدرها مخبر الخطاب الحجاجي أسوله ومرجسياته وأفاقه في الجزائر
تسنى بالدراسات والبحوث العلمية النقدية واللغوية والأدبية والبلاغية باللغتين العربية والفرنسية

العدد الخامس عشر

سبتمبر 2016

ردمك ISSN 2335-1071

رقم الإيداع القانوني 1759 - 2012

جامعة ابن خلدون - تيارت
الجزائر

توجه المراسلات إلى إدارة المخبر أو المجلة
ص.ب. 78 زمرورة - تيارت 14000 _ الجزائر
أو عبر: faslkhitab@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قواعد النشر بالمجلة

1. تهتم المجلة بنشر كل الأبحاث التي تعالج قضايا في حقل الحجاج والنقد الأدبي والبلاغيتين القديمة والحديثة وما يدور في حقل اللغويات وله علاقة بهذه المواضيع . كما يمكن أن تنشر المجلة نقدا متخصصا أو مراجعة أو ترجمة لأحدى المدونات العلمية الصادرة باللغة العربية أو اللسان الأعجمي.
2. لغة النشر عربية، فرنسية، إنجليزية، على أن يصحب البحث بملخصين مجتمعين في صفحة، أحدهما باللغة العربية والآخر إما باللغة الفرنسية أو الإنجليزية.
3. ألا يكون المقال قد سبق نشره أو قدم للنشر في أي إصدار آخر .
4. يقدم المقال المكتوب بالعربية بخط (Traditional Arabic) قياس 14 في المتن و 11 في الهامش، أما المكتوب بالأجنبية بخط Times New Roman قياس 12 في المتن و 10 في الهامش وكلاهما بمسافة 1 سم بين الأسطر وهوامش 4 سم (من الجهات أربع)، وألا يتجاوز البحث عشرين (20) صفحة بما في ذلك الإحالات، التي يشترط أن تكون إلكترونية، أما الجداول والترسييات والأشكال فتكون صوراً IMAGE .
5. بعد موافقة اللجنة الاستشارية المؤهلة للخبرة العلمية على الأعمال والبحوث، تعرض على محكمين اثنين من ذوي الاختصاص يتم اختيارهما بسرية مطلقة. وتحفظ المجلة بحقوقها في أن تطلب من صاحب المقال التعديل بما يتناسب ووجهة نظرها في النشر .
6. لا تعبر البحوث المنشورة بالضرورة عن رأي المخبر، والمجلة غير مسؤولة عما ينتج عن أي بحث، والدراسات والبحوث التي ترد المجلة لا تُردّ إلى لأصحابها سواء نشرت أم لم تنشر .
7. ترتيب المقالات في المجلة يخضع للتصنيف الفني وليس لاعتبارات أخرى كمكانة الكاتب أو شهرته أو غير ذلك.

رئيس المجلة

أ.د. مدربيل خلادي

مدير جامعة ابن خلدون - تيارت

المدير المسؤول عن النشر

أ.د. زروقي عبد القادر

مدير مخبر الخطاب الحجاجي

رئيس التحرير: أ.د. بوزيان أحمد

هيئة التحرير

د. داود احمد	د. غانم حنجار
د. درويش أحمد	د. بوعرارة محمد
د. كبريت علي	د. قوتال فضيلة
د. كراش بخولة	د. مكينة جواد
أ. تركي محمد	د. عزوز الميلود

الهيئة العلمية الاستشارية

أ.د. بوهادي عابد - جامعة تيارت	أ.د. فيدوح عبد القادر - البحرين
أ.د. مرتاض عبد الجليل - جامعة تلمسان	أ.د. خلف الجردات - المملكة الأردنية
أ.د. العشي عبد الله - جامعة باتنة	أ.د. بوحسن أحمد - المغرب
أ.د. حسن نعمي - المملكة العربية السعودية	أ.د. عباس محمد - جامعة تلمسان
أ.د. بشير بويجرة محمد - جامعة وهران	أ.د. آمنة بلعلي - جامعة تيزي وزو
أ.د. توفيق بن عامر - تونس	أ.د. سطمبول الناصر - جامعة وهران
أ.د. حسن البنداري - عين شمس - القاهرة	أ.د. خميسي حميدي - جامعة الجزائر
أ.د. دراوش مصطفى - جامعة تيزي وزو	أ.د. كوارى مبروك - جامعة بشار

الفهرس

- 05..... كلمة رئيس التحرير.....
- 07..... الفلسفة الهيرمينوطيقية...مدخل إلى أسس التأويل(العزوني فتيحة).....
- 17..... النسق العقدي في التأويل البلاغي، متشابه القرآن أنموذجا(عبد الرحمان عبد الدايم).....
- 35..... اللغة الأدبية والفكر وعالم الأشياء(خليل بن دعموش).....
- 51..... الخطاب الحجاجي من منظور تداولي "مقاربة نظرية"(عبد القادر شريف حسني).....
- الخطاب الحجاجي القرآني الموجه لبني إسرائيل
- 69..... دراسة نماذج في البنية والأساليب(بوديلي صلاح الدين).....
- الحجاج بالتمثيل في الخطاب القرآني
- 85..... "سورة هود أنموذجا"(بوسكرة محمد).....
- 101..... القرآن الكريم كلام الله المعجز(محمد رزيق).....
- 111..... الرؤيا والحلم في الأدب الصوفي(عطار خالد).....
- 125..... اللغة في رواية "فرانك شتاين في بغداد" لأحمد سعداوي(آلاء محسن حسن الحسني).....
- 147..... وظائف العنوان وعلاقاته في شعر سميح القاسم(حسين علي الدخيلي).....
- النص الشعري القديم محددات صحته
- 181..... بين وصف القدماء وتأويل المحدثين(بن عودة عطاطفة).....
- 203..... المنهج النقدي عند النقاد المغاربة"ابن رشيق " نموذجا(بن عربية راضية).....
- 209..... الشروح الشعرية ومستويات قراءتها(بن لحسن عبد الرحمان).....
- جمالية الحدث في الرواية بين التحقق والتوقع
- 227..... "ضمير الغائب" لواسيني الأعرج. أنموذجا(جيلالي نور الدين).....
- 239..... فعالية المؤشرات التربوية وأثرها في تقويم النظام التعليمي(بوهادي عابد).....
- 261..... تداولية المقاربة بالكفايات في ضوء نظريتي الملاءمة والبنائية(طلحي ليلي).....
- 269..... آليات التعريب في ظل ضوابط تمييز اللغة العربية عن الأعجمية(بن عزوز حليلة).....
- 287..... مصطلح الكلمة النحوية بين التعريف والتوظيف (بن يمينة بن يمينة).....

كلمة رئيس التحرير
بسم الله الرحمن الرحيم

أما قبل:....

استطاعت مجلة (فصل الخطاب) منذ صدور عددها الأول حتى هذه اللحظة أن تمضي في تحقيق مشروع طالما بقي حلما يراود الأستاذ والطالب والباحث، لذلك أخذت المجلة على عاتقها تحقيق هذا الحلم بصبر وأناة وتحدّ للمعوقات المادية والمعنوية على كثرتها وجسارتها وتفاعلها مع محيط لا يدعو إلاّ للتثبيط والسلبية القاتلة، وسط هذا الجو المشحون بالرداءة والاسفاف انتفضت مجلة فصل الخطاب بطاقمها الفاعل والمتفاعل أن يحوّل السكون والسلبية إلى نافذة يرى منها الجامعي أستاذا كان أم طالبا ثقافات الآخر - مهما يكن أمر هذا الآخر- عن قرب، ويقيم الحوار معها، مع ما يحمله مفهوم الحوار من تفاعل مع هذا الآخر على نحو من الأنحاء، كما تسعى المجلة في خطها المرسوم لها ضمن أسسها ومنطلقاتها الفكرية بأن توفر للمتلقي النخبوي فرصة المعاشة مع المشاهد النقدية الغربية دون الانحياز لمنهج على آخر، فهي لا تحصر نفسها بأي اتجاه فكري محدد اللهم إلاّ ما يرسم خطها في تخصيص مقالات في الحجاج والبلاغة بشقيها القديمة والجديدة، لذلك فهي تسعى الى أن تقيم توازناً نسقياً بين المناهج النقدية كلها،

ومن ذلك ففي خط المجلة ليس مطروحا عندنا ثنائية التراث والحداثة على مستوى الوعي أو الكتابة لأنه لا يمكن مقارنته إلاّ من خلال وجودنا الراهن، ذلك أن التراث هو امتداد وجودنا. وعليه سعت المجلة في علاقتها مع التراث أن تردم الفجوة بينه وبين المثقف، فوجهت جهود السادة الباحثين للاغتناء منه دون الاستسلام له، ولم يتحصّل لها ذلك إلا بتغيير نمط التفكير في معاملتها مع التراث، باعتباره شرط وجودنا دون أن نتماهى معه أو ننفصل عنه. ولا يكون ذلك إلاّ بتخطي القيود والحواجز التي فرضت علينا في التعامل معه، ذلك أنه يقبل الحوار ويقبل المناقشة. مادام ثمة إيمان بالتفاعل مع المنجز التراثي والحداثي، في إيقاع متشابك لا يتوقف ولا يهدأ.

فقد تخصص هذا العدد للتأويلات والهيرمنوطيقا، ولكن لم يغيب منظور الحجاج - على أنّ مجلة فصل الخطاب هي لسان حال مخبر الخطاب الحجاجي - باعتباره فاعلية تأويلية من خلال تتبع استراتيجية المؤول أو المجادل برأيه أو بتأويله. فكان من الطبيعي تحديد تنوع استراتيجيات الخطاب، بحسب تنوع الخطابات والأغراض والاستراتيجيات التي تحددها ضمنيا وتوجهه في صمت، من خلال الكشف بآليات التأويل عن المقاصد المضمرّة، والتضمينات المسكوت عنها، بما تمتلكه كفاءة المؤول ذاته، وهو لا يتأتى إلا بالتواطؤ - الضمني غير المعلن - بين طرفي التواصل من أجل إنتاج فعل التأويل وهو لا ينفك عن

الحجاج في إثبات أحقية التأويل. لذلك ظلت المقاربات المعاصرة تراهن على التأويل من حيث مركزيته في مقاربات الخطابات التراثية أو الحداثية، وهو ما تسعى إليه المقاربات النقدية الجديدة التي تعزف عن السياقات خارج النص باعتبارها حجباً توجه القراءة، بل وتتفرع عنه كقراءات لمستويات النص المتأول .

ففي عددها الخامس عشر ثمة مداخلات وإن تركزت حول إشكالية التأويل إلا أنها تباينت في المقاربات منها: الفلسفة الهيرومينوطيقا...مدخل إلى أسس التأويل وهو تعقيد نظري إلى النسق العقدي في التأويل البلاغي، متشابه القرآن أنموذجاً و الخطاب الحجاجي من منظور تداولي "مقاربة نظرية ثم دراسة تطبيقية اجرائية تمثلت في الخطاب الحجاجي القرآني الموجه لبني إسرائيل دراسة نماذج في البنية والأساليب مع مقارنة أخرى لم تبتعد كثيراً عنها الحجاج بالتمثيل في الخطاب القرآني "سورة هود أنموذجاً".

إلى مقاربات أخرى في الشعر والسرد، وغيرهما من الأجناس الأدبية التي صارت هاجس الباحث، من خلال البحث والحفر والتنقيب، وهو ما تتغياها المجلة في خطها المرسوم، كونها فضاء للمعرفة والبحث واحترام الآراء على اختلاف توجهاتها وتصوراتها، ما دام ثمة حق للمعرفة واحترام الآخر لهذا الحق.

والله نسأل أن تبقى فصل الخطاب تستوعب البحث الجاد وتنقب عن الكفاءات داخل الوطن وخارجه إيماناً منها بأنه لا وطن للمعرفة ولا حدود لها،
والله من وراء القصد

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور: أحمد بوزيان

الدراغات باللغة الأجنبية

*Revue Périodique Publiée Par Le Laboratoire
D'études Sur Le Discours Argumentatif:
Ses Origines, Ses Références Et Ses Perspectives En Algérie*

Faslo el-khitab

*Traite Des Etudes Et Des Recherches Scientifiques, Critiques,
Linguistiques, Littéraires Et Rhétoriques En langues,
Arabe Et étrangères*

ISSN 2335-1071

N° De Dépôt Légale: 2012 - 1759

Revue n° 15

Septembre 2016

*Université Ibn Khaldoun Tiaret
Algérie*

توجه المراسلات إلى إدارة المخبر أو المجلة
ص.ب. 78 زمرورة - تيارت 14000 - الجزائر
أو عبر: faslkhitab@gmail.com
Zerroukikader@gmail.com

PRÉSIDENT D'HONNEUR

Pr. Mederbal Khalladi

Recteur

Université Ibn Khaldoun/ Tiaret

DIRECTEUR RESPONSABLE

Pr. ZERROUKI Abdelkader

Directeur

Laboratoire Du Discours Argumentatif

RÉDACTEUR EN CHEF

Dr. BOUACHA Abderrahmane

COMITÉS DE RÉDACTION

LANGUE FRANÇAISE

Dr. BELARBI Belgacem

Dr. MALKI Benaïd

KAFI Khaled

OUADAH Bouabdellah

Dr. MOSTEFAOUI Ahmed

Dr. AIT Amar Meziane Ouardia

FETHI Brahim

MOKHTARI Fatima Zohra

LANGUE ANGLAISE

Pr. Bahous Abbès

Dr. BENABED Ammar

HEMAIDIA Ghellamalah

Pr. Abdelhay Bakhta

Dr. HEMAIDIA Mohamed

SI MERABET Larbi

COMITE CONSULTATIF

Pr. KASCHÉMA Laurent, Université de Strasbourg

Pr. CHAALAL Ahmed, Université de Blida

Pr. Ghellal Abdelkader

Dr. HASSANI F.Z, Université d'Oran

Sommaire

The Role of Reading in Improving Language Learning Madani Habib	03
Identity (Re) construction through Code Switching Practices via 'SMS Language' in Algeria: the Case of Relizane Speech Community Ali BERRABAH	15

اللغة الأدبية و الفكر وعالم الأشياء

الدكتور: خليل بن دعموش

جامعة سطيف 2 الهضاب - الجزائر

شكل مفهوم اللغة الأدبية وصفة ارتباطها بالأسلوب عند الغربيين من بين أهم الإشكالات التي انشغلت بها الفلسفة المعاصرة واللسانيات إلى جانب كثير من العلوم الإنسانية، وعليه فإن مقالنا هذه سنتناول هذا المفهوم من خلال مقارنة فلسفية وأخرى لغوية، حيث سنتقل من الدلالات إلى الإشكالات، قاصدين الإجابة عن الأسئلة التالية: كيف تعامل الغربيون مع اللغة؟ ما هي طبيعة العلاقة بين الأسلوب والفكر؟ بمعنى آخر هل يمكن أن نقبل أن تكون علاقة الأسلوب بالفكر علاقة انفصال؟ ألا يمكن أن يكون الأسلوب الفردي هو جسد اللغة وحضورها؟

الكلمات المفتاحية: إشكالية مفهوم اللغة؛ إشكالية الظاهرة الأدبية؛ مؤسسة اللغة؛ وظيفة اللغة الأدبية؛ فلسفة الأسلوب الأدبي؛ الأسلوب اللغوي.

Literary Language, Thought and the World of Things

Abstract:The format of the literary language concept and the link between it and the style among Westerners are among the most important issues that have preoccupied modern philosophy and linguistics as well as many humanities. Therefore, this article will address this concept through a philosophical and linguistic approach where we will move from the semantics to the issues, intending to answer the following questions: How did Westerners deal with language? What is the nature of the relationship between style and thought? In other words, can we accept that the relationship of style to thought is a detachable relationship? Cannot it be that the individual style is the body of the language and its presence?

Keywords:Language concept issue, Language phenomenon issue, Literary language function, Literary style philosophy, Literary style

مقدمة

عادة ما تتشكل المعالم الفكرية والأدبية للمبدعين عبر فترات من الزمن، حيث تشترك في تشكيلها مؤثرات متعددة كاللغة والثقافة والطبيعة، فيتكون من خلالها الذوق الجمعي العام بحسب نوع العلاقة التي تربط بين أفراد المجتمع، بالتصور أو بالتفسير الذي يرتضونه عن الوجود، مع ما قد يعتقدونه كائنا وراء مدركاتهم، لذلك نجد الدارسين للغة الأدبية يتباينون في

تاريخ تسليم البحث: 14 مارس 2016.

تاريخ قبول البحث: 25 جويلية 2016.

نظرتهم إلى طبيعة تكونها عند هؤلاء المبدعين وفقا لأسلوب الأفكار التي قد تعكسها لغتهم في ضوء مكتسباتهم الفكرية القائمة على قاعدة الإحساس بقيمة الفرد والمجتمع والرسالة الحضارية التي تقصدها النصوص الإبداعية، فنجدهم ينقسمون في ضوء ذلك إلى ثلاث اتجاهات: الأول منهم يرى أن هناك إسقاطا مباشرا لخصوصية تصوراتهم الفكرية على اللغة التي تمارس فعل التوصيف لأسلوبهم في صف الكلمات من دون إدراك حقيقي لماهية الأفكار التي تحملها، وبالتالي فالأسلوب الفكري هو من يصنعها، فيما يذهب الثاني إلى أن حضور الفكر دون نظام اللغة ليس سوى تخيلات لأشكال هلامية غير واضحة، لذلك فهم مضطرون إلى الاستعانة بقوانين اللغة الصارمة من أجل التمييز بين فكرتين أو معنيين بأسلوب واضح، لأن صرامة آليات اللغة هي من تعمل على توضيح الأفكار، بينما قسم ثالث يذهب إلى أن علاقة اللغة بالفكر تشبه وجهي الورقة النقدية كما هما متداخلان كل منهما محتوى الآخر، ولا يمكن أن نحدث قطعا في وجه الورقة دون أن نقطع ظهرها في نفس الوقت، وهذا ما ذهب إليه جورج موليني Georges Molinie حينما عرف الخطاب الأدبي بأنه "يتكون من الصورة والنظام اللغوي والمقدرة على الترجمة"¹ وهذا ما يكسب اللغة صفتها الأدبية من خلال اجتماعهما، لأن الأسلوب هو الفكر والمظهر هو اللغة.

1- إشكالية مفهوم اللغة

وُصف الوجود البشري على مر الزمن بكونه وجودا معرفيا يتأسس على نشاط السؤال المستمر الذي يربط بين الذات والموضوع، ليؤدي بالضرورة إلى إنتاج الأفكار والمعارف، وطرح النظريات العلمية التي تربط بين الإنسان والعالم، أو تحاول تفسير الواقع المحيط به وتبرز وجه التأثير فيه لإعطاء الظاهرة معنى وتفسيرها بمعقولية، ويكون ذلك وفق مناهج وآليات عقلية وتجريبية تروم بلوغ الحقيقة، وفي ضوء ذلك، شكلت معرفة اللغة الأدبية وصفة ارتباطها بالوجود موضوعا إشكاليا يستأثر بالاهتمام الفلسفي في إطار ما يعرف بنظرية المعرفة كمجموعة للفلسفات التي حاولت فهم حقيقة النشاط اللغوي للإنسان وطبيعته والشروط التي يقوم عليها، لذلك اتفق معظم العلماء الغربيين على أن اللغة تعتبر خاصية إنسانية يوجهها القصد والإرادة في استعمالها بعيدا عن آلية المنعكس الشرطي. وعليه، فالحديث عنها هو حديث عن كينونة الإنسان ذاته، لأنها تعكس وجوده وتبرز مدركاته، وتتحدد عليها طبيعة علاقاته مع عالم الأشياء، فهي نظام كلامي مفتوح له خاصية التراكم قادر على ترجمة المعارف ونقلها عن طريق الألفاظ والعبارات والرموز والإشارات، فضلا عن وظائف التواصل البيولوجية والنفسية والاجتماعية ولعل في قابليتها للإضافة والتغيير والتعديل ما يعطيها قدرة على اصطناع

الإبداع بابتكار معانيها ومقاصدها وهذا ما يجعل منها منهلا فكريا وثقافيا واجتماعيا قابلا للدراسة التجريبية وفق تطور الحاجات.

2- إشكالية الظاهرة الأدبية

تعرف اللغة على أنها لسان هوية الإنسان المعبرة عنه، فهي الحدث الأساس الذي نقل الجنس البشري من مرحلة الكمون إلى مرحلة التفكير، والبحث عن الهوية في اللغة هو ذلك الدافع الذي يعكس جوهره وكيونته ومشكلاته وإسهاماته في مجال الفكر الإنساني، حيث يتطور أليا ويدخل في كل تفاعل حادث بين اللفظ والكتابة والعلم، فهي ظاهرة اجتماعية ناجمة عن تشابك العلاقات المباشرة وغير المباشرة الحادثة أليا داخل حياته وفي علاقته مع الإنسان، لذل كيمثل الإبداع الأدبي درجة متقدمة في درجات اكتساب الوعي، وهو في تطور مستمر عبر الزمان لـ"أن الإبداع الأدبي نوع راق من العمل الاجتماعي ومادة البناء في الأثر الأدبي هي الكلمة، أي الشكل المتميز للوعي"²، وهذا ما يفسر ظهور أنواع مختلفة من الأجناس الأدبية كالرواية، والقصة والمونولوج والشعر الحر...، لأن الجنس الأدبي "متطور متحول بما يحصل في أسلوبه من تغير تحت تأثير السياق الخارجي، التاريخي، والاجتماعي، والثقافي، والأيدولوجي مع الأخذ بعين الاعتبار الاستقلال النسبي للبنية الثقافية، وجدليتها مع الواقع، وجدليتها الداخلية، فالنوع قد يحتفظ بتراتب بنياته حتى رغم تغبُّر السياق الخارجي"³، فعلت أجناس أدبية محل أخرى تلاشت أو اندمجت فيها بحكم اختلاف الظروف والتحويلات الفكرية العميقة التي أصابت العقل الغربي، ولأن التطورات الحاصلة في صميم المنظومة الاجتماعية تؤدي بدورها إلى تسهيل إحلال نوع أدبي مكان نوع آخر، أو تساعد على حدوث تداخل ينجم عنه اختفاء لآخر ليتجسد نهاية شكلا أدبيا جديدا يتلاءم ومتطلبات الفهم الاجتماعي يعكس صورة حضارية لنمط الثقافة السائدة في المجتمع، فكل تقدم يحمل في طياته أفكارا عقلية وأخلاقية خاصة به.

تنامي اهتمام الفلاسفة الغربيين وعلماء اللغة بدراسة اللغة الأدبية كفاعلية اجتماعية تواصلية متميزة بنصوصها، حتى شكلت مدخلا مهما لموضوع دراساتهم المتعلقة بمعرفة الإنسان كوجود يشكل محورا للكون وفق إشكالات المعرفة، والنمط الاجتماعي، وبالتالي تغيرت نظرتهم لها ولخصائص تكوينها وأطروحاتها، فـ"كان لابد للفكرة التي نحملها عن الإبداع الأدبي واللغة أن تتغير كما تغيرت في الوقت نفسه الفكرة التي نحملها عن الإنسان والمجتمع فالقرن الثامن عشر حدد الحدود-بشكل مائع وعائم بين رؤيتين للعالم ونستطيع أن نسميهما: جوهريّة ووجودية"⁴، وعليه، فقبل أن يكونا موضوعا للدراسة، ينبغي أن يوضع في صورة مصطلحية تأريخية تقبل المعيار، ذلك أن العمل الأدبي يعد انجازا فكريا ثقافيا للمجتمع لا يتحقق إلا من خلال اللغة، التي تعد بدورها أداة للتواصل ومؤسسة اجتماعية، ف الأدب "بوصفه مؤسسة اجتماعية،

مجموعة من تلك الممارسات والعادات التي تتحكم في ضخ الكتابات ودورانها في مجتمع معين، مثل المنزلة الاجتماعية التي يتبوؤها الكاتب، وإيديولوجيته، وأشكال انتشاره، وظروف استثماره و(استهلاكه) وما يحظى به من إقرار نقدي، ويتألف، بوصفه عملاً فنياً في الدرجة الأولى من عدد من أنواع الاتصال اللغوي المكتوب⁵، فجاءت معظم تعريفاتهم للغة والأدب تأتي بمفهوم المؤسسة الاجتماعية النشطة، التي تقوم على خدمة الإنسان مركز الوجود بما أنها تتشكل دائماً في صورة خطاب يشتغل ضمن سياق فكري متجانس مع طبيعة الإيديولوجيا الاجتماعية السائدة، لها حمولتها المعرفية الغنية بالدلالات والتراكيب التي تجمع بين المستوى الوظيفي والتأثير الجمالي داخل العمل الأدبي، لتكشف عن نسق لغوي حامل لمجموعة من المعارف التي تحيل على مرجعيات ثقافية " لأن اللغة تمثل النظام المركزي الدال في بنية الثقافة بشكل عام"⁶، فصارت سبيلاً موجهاً لنقل الأفكار بما أنها حاضرة في كل مناحي الحياة.

بناء على ما سبق، فقد تعامل الغربيون مع العمل الأدبي كمكون أساس داخل المنظومة الكلية المتكاملة للحياة المادية المعيشة داخل المجتمع، والقابلة للدراسة البشرية مستندين في ذلك إلى: " أن الحدث اللغوي ليس منبثقا من عدم وإنما هو متولد من أحداث تاريخية ونفسانية ولغوية ... وتتناسل منه أحداث لغوية أخرى لاحقة له"⁷، قاصدين من ذلك محاولة الوصول إلى الإحاطة العلمية بمجمل النماذج المختلفة والمتداخلة التي يمكن أن تتشكل عليها اللغة الأدبية، وفهم آلية تكونها وتفسير كيفية تأدية هذه المادة لوظائف التأثير في المجال الاجتماعي الإنساني، لأنه " كلما أصغى الإنسان إلى اللغة مستطلعاً معانيها ومستشرفاً آفاقها، تهيأ له من غير أن يتخلى عن وضعية الإصغاء، تهيأ له أن يتصل بالكينونة الحقة التي تقوم على أصلها جميع الموجودات"⁸، ليصلوا إلى قاعدة علمية موسعة من مجالات التفاهم التي تصب في محاولة إيجاد حدود نظرية قادرة على قياس مجال قدرة الإنسان على التعبير بها عن أفكاره، وبالتالي تفسير أسباب نمو معانيها ضمن إطار التفسير اللغوي والفلسفي لتطور العقل البشري الذي تنتقل فيه الأشياء من البسيط إلى المركب ومن الأدنى إلى الأعلى، وعلاقة كل ذلك بالمنظومة الفكرية العامة للمجتمع.

3- مؤسسة اللغة

تبعاً لتعاظم دور اللغة الأدبية في بناء الشكل العام لهوية العقل الغربي الحديث وتعدد صفات ظهورها في مختلف طبقاته، بفعل التقدم المعرفي والتقني للحضارة الغربية، فقد شكلت لدى الدارسين الغربيين موضوع دراسة قابلة للتجريب أكثر منها وسيلة تدل على مجرد إنشاء التواصل والتفاهم بين أفراد المجتمع، لذلك حاول الفلاسفة، وعلماء الاجتماع، والنقاد الغربيون أن يقدموا الكثير من التفسيرات العقلية المناسبة لكيفية حدوث الإبداع الأدبي،

اعتمادا على الوظيفة التي تقدمها وعلى القيم الاجتماعية التي يمكن أن تعكسها داخله، فدعوا بداية لوجوب علمانية دراسة اللغة، لتبرير فرضية فهم كيفية حدوث برمجة التفكير وإنجاح عملية التواصل الاجتماعي للإنسان أثناء الحوار أو الاستعمال اليومي للغة، وبالتالي أخذت توجهاتهم الفكرية تقوم على وجوب التعريف المادي للأشياء بتوضيح وظائفها الأساسية والفرعية المكمل لها، حيث توصلوا في تعريفها إلى أن "لها وظيفتان: أولا، إنها تعطي الأشياء التي نتكلم عنها دلالاتها، ثانيا إنها تعبر عن موقف المتكلم إزاء هذه الأشياء"⁹ وهذا ما يمثل عندهم نقطة بداية لفهم بداية حدوث الفكر، ونقلة نحو التقدم في اكتساب المعرفة.

العالم صار محوره الإنسان الذي يتميز عن غيره من المخلوقات بأنه ذات مفكرة وتحيط به الموجودات كأشياء، وبما أن "الفكر ليس باطنيا ولا وجود له خارج العالم وبعيدا عن الكلمات"¹⁰، فهو بهذا التعريف يعتبر خاصية فردية يختلف من شخص لآخر، واللغة في ذلك مشترك جمعي تختلف أساليب استعمالها من شخص لآخر داخل المجتمع أو العائلة الواحدة؛ بمعنى أنه يجب بداية يجب التفريق بين مصطلحي اللغة والكلام بما "أن الكلام هو إنجاز للغة ضمن حدث خطابي وإن إنتاج الخطاب المفرد إنما يتم بواسطة متكلم مفرد"¹¹، وهذا ما سمح لهم بوضعها تحت سلطة التجربة لعدد من المناهج والتطبيقات العلمية، من خلال مقارباتهم النظرية لإيجاد المنفذ الذي يمكن أن يخضع اللغة لمنطق العقل، لأن "اللغة language هي ملكة التخاطب التي يملكها كل البشر طبقا لقوانين الوراثة، وهي ظاهرة إنسانية عامة، وهي توجد وجودا كاملا في عقل الجماعة فقط، أما الكلام parole فهو ما نسمعه في الحياة اللسانية من عبارات ينظمها الأفراد، لها وجود مادي، أما اللسان فهو نظام اجتماعي عند جماعة لغوية محددة"¹²، فصار بالإمكان في ضوء هذا التحديد؛ أن يستعان بالكلام الفردي للتعبير عن مقاصد الأشياء، بما يختصر لمستهمله عديد السبل التي تتطلب حضوره فعليا، لأنه يتيح من خلاله قابلية التكيف مع عديد الرغبات والاستعمالات؛ كتمثل العالم أو إعادة تشكيله بحسب تفكير المتكلم بها.

من خلال هذه الرؤية استطاعوا أن يبدعوا نسيج اجتماعيا وفكريا معاصرا يجمع بين مختلف مكونات المجتمع باللغة، وبالتالي ضيقوا فجوات التباعد بين المفاهيم وساهموا في انصهارها داخل بوتقة وجود الإنسان الغربي لكي ينتقلوا بعد ذلك لدراسة وظيفة اللغة الأدبية بتعدد أنواعها من باب فعاليتها الاجتماعية، وهذا ما ذهب إليه رينيه ويليك (r. willick) في تعريفه للنوع الأدبي حين يقول: "النوع الأدبي" مؤسسة" كما أن الكنيسة أو الجامعة أو الدولة مؤسسة، إنه يوجد لا كما يوجد الحيوان أو البناء أو دار العبادة أو المكتبة أو مبنى الحكم، ولكن كما توجد المؤسسة، إن المرء يستطيع أن يعمل من خلال المؤسسات القائمة وأن يعبر

الأدبية من ناحية القيم.

4- وظيفة اللغة الأدبية

وینصب نفسه سیدا علیہ¹⁵.

نمتلك لغة نمتلكها فيها¹⁶ ،

كدوال لمعاني أو أصوات مسموعة مشفرة يفككها العقل الجوهر، الذي بدوره يعرضها على النفس المتلقية التي قد تتقبلها أو ترفضها، أو تعمل على تجديدها دوريا كما ترغب فيه هي لتدل على ما تريده من المعاني، وهذا الاتجاه العام في تعريفها يتأسس مع مذهب دي سوسير إليه من "أن (اللغات) هي عبارة عن منظومات مكونة من علامات، وأن (العلاقة اللغوية) تتألف من عنصرين: - الصورة الصوتية-أو بديلها المكتوب، ويطلق دي سوسور عليها مصطلح: - الدال-ثم-المفهوم، ويطلق عليه مصطلح: -المدلول- إلا أن العلاقة بينهما علاقة اعتبارية وفرقية، لأن الارتباط بينهما تواضع عرفي، وليس ثمرة علاقة طبيعية¹⁷، فحجية عدم التطابق الكلي بين الدال والمدلول هو الذي يصنع الاختلاف في تحديد وظيفة اللغة أو تفسير قابلية التحويل والانغماس أكثر في تأويل معانيها، لأنهما لا يحققان دائما التعبير المأمول عن كل الموضوعات المقصودة، أو لا يحيطان بالمراد المادي.

لعل لتباين مقارباتهم في تحديد وظيفتها، وفي وجوب تمييزها عن الكلام الفردي، كان بسبب الزاوية الميكانيكية التي ينظر منها نحو الوظيفة التي يمكن لها أن تقدمه كل حسب مفهومه، ل"أن عملية الكلام تنحصر كلها في منحها للفكر مادة يعتمد عليها، بإزالتها الإبهام بفضل ما تتركه الأصوات المقطعة، من اثر ثابت بإجبارها الذهن على أن تنتظم جميع معانيها بانتظام الألفاظ المتعاقبة"¹⁸، وهذا من دون أن نغفل عن الإشارة إلى أنهم يكادون يجمعون، على أنه يمكن أن تتكون لها صورة مبسطة؛ تتمثل في شكل كتابة تشتمل على مختلف الرموز والإشارات ومعاني الألفاظ والعبارات المتتابعة، والقابلة لتحمل دلالات متفق عليها مسبقا، بين مختلف مكونات المجتمع يقصد منها التواصل. بمنطلق أن "اللغة نتاج جماعي للملكة اللسان ومجموعة من التقاليد الضرورية التي تبناها مجتمع ما ليساعد أفرادها على ممارسة هذه الكلمة"¹⁹، فهي ضرورة لتيسير حياة الإنسان، تسهل له صياغة أفكاره وتبلورها وتجسد عملية فهمها وتحليلها وإيصالها بالتعبير المناسب للمتلقي؛ كما تدل على اتساع مجال إحاطة التفكير به والقدرة على تقديم مختلف الحلول والمطالب التي قد يواجهها كل فرد داخل مجتمعه.

5- فلسفة الأسلوب الأدبي

لعل من بين أهم الصفات الجوهرية التي يختص بها الأديب هي الوعي بوصفه خاصية فكرية يستطيع من خلاله إدراك ذاته، فهو في ذلك يستعمل أسلوبه الخاص في التعامل مع الأنواع الأدبية، ليعبر بها عن أفكاره أو يمارس بها وظيفته ضمن قيمته وحدوده، لأن "مفهوم الأنواع الأدبية لا ينفصل قطعا عن الأسلوب"²⁰، لذلك شكل مفهوم الأسلوب الأدبي من حيث النشأة والتعريف والتفسير، مثار جدل واسع بين الغربيين أنفسهم بفعل طبيعة اختلاف جوهر الفلسفة الغربية في حد ذاتها والمنطلقات الإيديولوجية للمهتمين بها، برغم وجوده ككلمة في كل

الكتب المعجمية والأدبية، فقد ورد تعريف كلمة "style" في الموسوعة الفرنسية "Encyclopoedia Universalis" مايلي: "الأسلوب في الأزمنة القديمة هو الحرف الذي يستعمله المرء في حفر أفكاره في الشمع، لكل امرئ طريقته في استعمال الأسلوب، كما يكون لكل منا حرفه أو كتابته، الأسلوب هو الفردية، الفردية وحرية الفكر التي تظهر للعيان من خلال الكلمات، الخيلات، كما تظهر على نحو أجلى في بناء الجملة، بناء دائرة الكلام وفي العريسة-arabesque- هذا الفن العربي التزييني الساحر الذي يرسمه الفكر في مجرى نموه"²¹، ولعل ما نستشفه من هذا التعريف؛ أن امتلاك الأسلوب قد يعني بالضرورة اكتساب فن مقترن بالفكر الإبداعي في ضوء الخصوصية الفردية، بما أن تعريفه يشغل في منطقة وسط بين الوسيلة والغاية مما أكسبته معنيين، الأول يعبر عن وظيفة تشير إلى نظام الوسائل والمهنة التي توظف فيها، والثاني هو حصيلة مجموعة العمليات الذهنية والثقافية تدل على طريقة الكتابة، والمقدرة على التفكير التي تبرز فردية المؤلف في صناعة أفكاره وكيفية حفرها على صفحات مؤلفاته لتحدد خصوصياته.

لعل في جمع لالند Lalande في تعريفه بين الجانب المادي كوسيلة والجانب المعرفي في خصوصية امتلاك صفة التعبير عن الأشياء، يجعلنا نرى أن الإشكال قد لا يكمن في صعوبة تبني معنى دقيق يحيل إلى مدلول ثابت لتعدد سياق تداولها، بما أن من ضمن معانيه كذلك هو ضرورة الانفراد وحرية تشتيت المعنى في اللغة، مما يعني في حد ذاته وجوب انتهاك ومعارضة النظام الاجتماعي واللغوي بما يمكن أن يقابله أو ينتجه صاحبه من اختلاف في الأسس أو الرؤيا أو في طريقة المنهج والتفكير، بحيث يستطيع أن يجمع داخل الأسلوب الفردي بين الجزء والكل، أو بين النقيضين داخل الكل أو يكون الجزء أكبر من الكل، وفي ضوء هذه المنطلقات النظرية المتباينة جاءت تعريفاته عند الفلاسفة الغربيين مختلفة حد الصدام.

فهناك من يرى انه رؤية خاصة في التعبير عن الموجودات، وهذا ما نجده عند فلوبير Flaubert Gustave الذي يقول: "إنه في ذاته طريقة مطلقة لرؤية الأشياء"²²، وقد أورد هذا التعريف الفلسفي في شكل مقتضب أراد من خلاله أن يدل على المقيد بالمطلق، حيث يستمد من وجوب تحرير المقصد العام للرغبة الإنسانية وإدراك معاني الأشياء، معيار البداية لمقاربة معنى الأسلوب الذي يكتسب شكله من خلال إطلاق العنان لميولات النفس البشرية في رؤيتها للأشياء، باستثارة قدرتها على تمثيل تقلباتها لغويا، فالحرية مكتسب إنساني، وهي هبة إلهية وفطرة مودعة فيه لا يحق لأحد أن يسلبها منه، باعتبار أن لكل أديب توجهاته وفلسفته الخاصة تكونت عبر الحياة، والتي اكتسبها سواء من معارفه أو من تخيلاته المسبقة عن الأشياء، وبالتالي يوظفه أدبيا من خلال طريقة تجسيد المطلق داخل كتابته الإبداعية التي يعيشها، لأن

العمل الإبداعي تعبير عن العالم الداخلي للفنان، وفهمنا للنص الأدبي يعتمد - قبل كل شيء - على فهم المبدع أولاً، وذلك يتم بتجميع كل ما يمكن الحصول عليه عن حياة هذا المبدع وسيرته الخاصة، وبهذا يتأكد تميز كل أسلوب عن أسلوب آخر، وتفرد بخصائص لا توجد في سواه من خلال ارتباطه بهذا التكوين الخاص لمبدعه²³، فتتبع الطريقة التفسيرية في فهم خصوصية ثقافة المحيط الاجتماعي للمبدع قد تسهل إدراك جمالية أسلوب الكتابة، لأن تأثير الثقافة بمعناها الواسع يحيل إلى فهم أساليب الحياة والفكر، وبالتالي تتضح فلسفة الأسلوب أكثر بمدى تجلي الوعي بالقيم السائدة التي يعيشها، فنظريته في تبرير أسلوب العمل الإبداعي تحوم حول المقدرة على النجاح في مقارنة لغة التعبير عن الأشياء، لأن اللغة ليست نسقا اعتباريا، إنها موضوعة في العالم وهي تشكل جزءا منه، لأنه، في آن واحد، الأشياء نفسها تخفي لغزها وتظهره كلغة؛ ولأن الكلمات تقدم نفسها للناس كأشياء يتوجب فك رموزها²⁴ بما أن الأدباء يتفاوتون في مفاهيمهم عن الأشياء ويختلفون في عاداتهم في استعمال اللغة وفي كيفية التعامل معها، وفي نظرتهم إلى المكان والمجتمع وإلى الوسط الثقافي السائد في ضوء انتماءاتهم الحضارية.

كما نجد بروسست proust يقول: "إن الأسلوب عند كل من الكاتب والرسام ليس مسألة تكنيك، ولكنه مسألة رؤية"²⁵، فحد الأسلوب الأدبي يعتمد الذكاء في توظيف مادة اللغة من دون تشتيت للمعاني أو تنافر، لأن قيمة العمل الأدبي قد لا تتعلق بمدى الاعتقاد بجدوى التمرس في العمل، بل تتعلق أكثر بطريقة إبراز لمسات المبدع فيه، بما تدل عليه من سمو في التفكير سواء كان كاتباً أو رساماً، لأن الأسلوب الأدبي يأخذ مفهومه من خلال البراعة في إخفاء الفكرة بتجميلها حتى تصبح جزءاً من الإبداع، فبمقدار تذوق فنية عمل الرسام الذي يعتمد على تكون الرؤية لديه سلفاً قبل البدء في رسمه بما أنها مسحته الفنية هي استشراف وموهبة، يكون كذلك الأديب لأن "الإنسان أصبح يدرك المبدأ التقني البنائي للشيء المعني أو للظاهرة المعنية من ظواهر الطبيعة، وهو بذلك يفصل فكرة الشيء عن الشيء نفسه، ويستطيع استخدام مبدأ هذا الشيء، أو هذه الظاهرة ليقوم واعياً بالخلق والإنتاج من أجل استهلاكه الخاص"²⁶، فاقتران مفهوم الأسلوب الأدبي المحاكي لشكل اللوحة الفنية، يعد دعوة صريحة منه إلى وجوب الإدراك بوجود جوهر أو سر خفي للإبداع؛ قد تكشف عنه الرؤية الذكية للمتلقي من دون التزام معين بتقاليد تُفرض على صاحبه، قد تعيقه في عملية التعبير عن الحقيقي.

أما شوبنهاور shopenhauer فيقول: "الأسلوب هو التعبير عن عوالم الروح"²⁷ فجماالية الأسلوب في اللغة الأدبية تتفاضل عنده معاني الأشياء بين الحسية الحاملة للتجربة المادية

والعوارض الانفعالية في مظهرها النفسي، لأن "ظواهر العالم الحسي المتعددة هي ظلال لمثل مطلقة خالدة، والمثل هي وحدها الوجود الحقيقي، والعالم يستمد حقيقته الجزئية من المشاركة في هذه المثل الخالدة"²⁸، فتمايز القيمة فيه تتجلى من خلال القدرة على التعبير عن عالم الروح أو عالم اللاشعور بما أن "ماهية الكائن توجد في وجوده"²⁹، فالأسلوب الأدبي لا يقصد منه إنتاج معرفة بالموضوع أو بالذات معرفة علمية أو منطقية، بل بما قد يؤسس له لإنتاج المعرفة بطبيعة العلاقة بين الذات والموضوع، بمعنى أن حده هو إنتاج المعرفة بالقيم لا بالأشياء حتى وإن كانت هذه الأشياء تمثل الأساس الذي تنبني عليه القيم، ففلسفته الروحية تجعل من الأديب يعتقد فيه رسولا روحيا بحد ذاته، لأنه يصيره جسرا لاكتشاف تدرج عوالم الروح ومقام قرارها، ف"أن تعرف شيئا معناه أن لا تكون أنت إياه"³⁰، وهذا ما يتفق معه جزئيا غوته الذي يقول: "إن الأسلوب عموما هو التعبير الدقيق عما في داخله"³¹.

الأسلوب عند بروسست وشوبنهاور أخذ تعريفا روحيا؛ وإن كان الأول يتكلم عن المطلق في عالم الأرواح والطريقة التي يمكننا بها التعبير عنها بما يناسبها من طقوس التبجيل، فالثاني يقصد إلى وجوب فهم الجوانب المتحسس منها في الروح الكامنة في الجسد المادي وسبيل التنفيس عن ضوائقها ومكبوتاتها لجعلها تتمثل على حقيقتها أمام مرآة الكتابة أو هيئات التعبير أو التشكيل الفني، فتعريفهما يحمل صفة التعميم في تفسير الظاهرة مخافة التضيق والوقوع في حدود سقف الزمنية، مما جعلهما يمران عليه؛ من دون أن يقصدا معنى مضبوطا، أو كيفية نشوء العلاقة المتلازمة بين الأسلوب والروح بما قد يفسر ترانيم الروح أو سبب الكتابة كتجسيد مادي لها أو بينهما معا.

كما نجد موريه mauray يقول: "الأسلوب بالنسبة لنا هو موقف من الوجود، وشكل من أشكال الكينونة، وليس في الحقيقة شيئا نلبسه ونخلعه كالرداء، ولكنه الفكر الخالص نفسه، والتحويل المعجز لشيء روحي إلى الشكل الوحيد الذي يمكننا به تلقيه وامتصاصه"³²، الأسلوب عنده قد يكون موقفا من الوجود أو ما يعكس حقيقة الوجود بمعنى الحضور والغياب، لأنه عندما يصدر من فكر الأديب فهو تعبير أو موقف تجاه الوجود الكائن الظاهر للعيان المدرك باللمس أو بالحس أو المفسر بالعقل سواء بالرفض أو بالقبول، وهذا ما عبر عنه كذلك الناقد مورييس بلانشو في كتابه Le livre à venir حيث أعاد صياغة سؤال ماهية الكتابة من منظور الغياب لا من جهة الحضور قائلا: "كل كاتب يجعل من الكتابة قضيته"³³، لأن الفكر وتوظيف اللغة عنصران لا يمكن فصلهما داخل النسق التطوري للمعرفة، لاستحالة استقلال أحدهما عن الآخر، وهو ما يجعل كل واحد منهما لا يمكنه أن يتصور بمعزل عن الآخر، وهذا ما يوجب "أن يكون للشاعر وجهة نظر عامة في مشكلات الكون الكبرى، أو

بتعبير عصري أن يكون للشاعر فلسفة، ولا نعني بالفلسفة هنا أن يكون الشاعر فيلسوفاً أو قارئ فلسفة، بل أن يكون له تصور خاص للكون تصنعه ثقافته وقراءاته وتجاربه ووراثته ومزاجه³⁴، لأن الفكر واللغة يشكلان مظهرين لنسق واحد متجانس، ويمهدان لمعرفة شكل العالم، ويرسمان طريقة متجددة للتفكير فيه من خلال نوع العلاقة الناشئة بين الإبداع العقلي للمبدع وتمرسه اللغوي في عملية تثبيت أركان المعرفة، بمعنى القدرة على احتواء الأشياء داخل اللغة، والإحساس العميق بتملكها وفهم مكنوناتها، بما أنها الثابت الوحيد في ذهن الأديب فالكتابة يمارسها دوماً كالهواء والماء.

أما غرانج Granger في كتابه - مقال في فلسفة للأسلوب- الذي "عمل فيه على تأسيس (أسلوبية خاصة) تشمل كافة نشاطات الإنسان، وعلومه، ولذلك عدّ (الأسلوب) ثمرة للعمل، وإن المرور من اللاشكلي إلى المبني ليس مجرد توضع صورة جاهزة، وقادمة من الخارج، وإنما هو، مثل كل إنبنائية، ينتج عن (عمل) يضع الشكل والمضمون في علاقة بعضهما مع بعض، في الحقل المستكشف، أو لنقل بعبارة أخرى، إن (الأسلوب) هو الحل الشخصي الذي يقدمه الفرد للصعوبات التي في عمل بنائي ما"³⁵ فالأسلوب بمعنى الفيلسوف كلٌّ. لأنه طريقة في بناء حياة الإنسان مادياً وهو نتاج التمرس في العمل أو طريقة لتشكيل النظام الخاص الذي اعتاد عليه، فهو يعكس ثمرة للفكرة والعلم بالشيء، يجمع بين الشكل والمضمون كما يقول شاتوبريان Chateaubriand "ليس الأسلوب كوزمبوليتيا كالفكر، لأن له أرض نشأة وسماء وشمساً خاصة به"³⁶، فتكوين الأسلوب فلسفة تتضافر فيها كل العوامل الخارجية من عادات وتقاليده وتجارب حياتية وعلمية مكتسبة بالتعلم مع الفطرة، فينشأ عبرها ليصير حلاً في حد ذاته لمشاكله الحياتية والفكرية بما يشكل عنده خبرة، وهو نفس ما يذهب إليه هيتزفيلد Hatzfeld الذي يرى "أنه ليست هناك اتجاهات متخالفة في علم الأسلوب؛ فلا ينبغي أن نتحدث عن علم أسلوب جمالي وآخر لغوي وثالث نفسي، بل لابد من إدماجها وتكاملها في اتجاه واحد؛ قد يكتسب طابعاً لغوياً بالنسبة للمادة المستخدمة في أقصى حالاتها، ونفسياً بالنسبة للبواعث الدافعة إليه، وجمالياً بالنظر إلى الشكل الخارجي للقول والتأثير الناجم عنه. وجميع هذه العناصر الأسلوبية حاضرة في النص، ودراستها تعني التفقه فيها، ويصبح علم الأسلوب حينئذ معادلاً لفقه اللغة؛ لكنه فقه يحلل النص من وجهة نظر فنية فحسب"³⁷.

6- الأسلوب اللغوي

لعل للتراكيم المعرفي والتجريبي الحادث على مستوى البنى المؤسسة لكل إنجاز معرفي، والنتائج عن ثورة الأفكار التي أحدثتها الفلسفة العقلية والتجريبية الغربية التي شملت كل الميادين العلمية والإنسانية قد جعل من هذه الأخيرة، تدرك ضرورة التجديد والتنوع في

استعمال الأدوات والمظاهر البنائية المشخصة لكل عمل أدبي، باعتباره من منجزات المعرفة الإنسانية من دون الخروج التام عن مادتها كما يقول موليني: "يجب العمل، تنقية المادة اللغوية، صقلها بتغيير الوسائل من دون الخروج عن موضوعها"³⁸، لذلك فقد صار من الضروري التفريق بين شكل الأسلوب الأدبي والعادي أين يتجسد في الخطاب بنوعيه الشفاف الذي يترك المعنى يمر كمرور نور الشمس من دون اعتراض، والخطاب الذي يتمثل في شكل زجاج مزخرف كلما سطعت فيه نور الشمس كلما أبان عن نقوش ورسومات جميلة"³⁹، ذلك أن النص الأدبي مثل بنية فكرية معقدة ذات مستويات لغوية متداخلة ومتشعبة تعكس العلاقة القائمة بين مجموعة الكلمات المتكونة كذلك من العناصر الصوتية الفيزيائية ضمن نظام كلي بأسلوب فردي خاص داخل النص، لذلك وجب الانفتاح التام على كل ما توصلت إليه العلوم التجريبية في النظم المعرفية والاستفادة من الأدوات المعرفية والبنائية، باستغلال آلياتها التحليلية ومحاولة تطبيقها على كل النصوص الإبداعية، لفهم القيمة الجمالية والوظيفة الكامنة في شكل ومضمون وأسلوب العمل الأدبي.

هناك العديد من اللغويين الغربيين من حاول تفسير الأسلوب الأدبي من وجهة نظر اللغوية بحتة، مثل جورج مونان George monnin الذي يقول: "هناك ميدان صغير، لكنه مهم جدا ومتسع جدا من حيث بعده الثقافي، هو علم الأسلوب ((الأسلوبيات)) la stylistique ويقصد به مجموع الوسائل الخاصة التي تخلق ما نسميها الاستعمال الأدبي أو الشعري أو الجمالي للغة، وذلك من خلال الطريقة التي تمتلكها هذه الوسائل في التعبير عن موقف المتكلم إزاء إرساليته وفي قدرة هذه الإرسالية على ممارسة بعض التأثيرات على المتلقي، ورغم الفورة الحالية فإننا بدون شك، ما نزال، في هذا الميدان، في مرحلة من الفقر فيما يخص الحقائق الموضوعية"⁴⁰، فالأسلوب عنده وإن كان إبداعا لغويا قد ينم عن امتلاك نوع من ثقافة اكتساب وتوظيف اللغة أو النهل منها، إلا أنه يعبر كذلك عن حضور طاع للذاتية بما أن ثقافة الكتابة تدل على فردانية الفكر وخصوصية الذات وتعكس حجم الرصيد اللغوي وتبين السلوك الفكري للأديب، ولعل أحسن طريقة لدراسته هو الالتزام بالموضوعية التامة عند التعامل مع النص الأدبي، بما أن الدراسة الموضوعاتية له تساهم في تكوين المعرفة إزاء ما يكتب، بما أن القصد منها هو رصد حجم تأثير المعنى في المتلقي، وهو ميدان صعب في حد ذاته لما للغة من تشعب في التوظيف وتعدد تشكلاتها وكثرة الميادين الاجتماعية التي تتواجد فيها أو تمتاح منها دلالاتها فالمعنى كيان مرتبط بالنسق المولد.

وهذا ما قد ذهب إليه جاكوبسون Jakobson؛R الذي جاءت تعريفاته للغة بنوعها الشفاف البريء وعكسه في إطار النظرية التواصلية كأداة لتبليغ المعرفة والأفكار والمشاعر

بحضور عناصر الخطاب وهي السياق، المرسل، الرسالة، المرسل إليه، حيث دعا إلى الدراسة العلمية للغة من جهة مفهوم مصطلح الهيمنة داخل النص أو الخطاب لأن "الوظيفة الأدبية ليست الوظيفة الوحيدة للغة، لأنها قد تشكل دورا رئيسا داخل نص أو خطاب بينما تلعب دورا ثانويا تجميليا في خطاب آخر"⁴¹ فالمعنى الأدبي يلعب دورا علائقيا داخل النصوص، وكلما كان فيه التوظيف أدبيا للكلمات بغرض تصوير كيفية بناء الوقائع وتحويلها إلى كائنات دالة كلما شد ذلك الذهن إلى ربط هذه الكلمة بالأخرى ومن هذه الروابط يكتسب النص صفة الهيمنة وهذا هو المدخل الرئيس الذي يمكننا من التعرف المباشر على هوية النص من خلال تحديد الهويات الدلالية ومنتجاتها. لذلك نجده يقول "أننا لا يمكننا تعريف (الأسلوب) خارج الخطاب اللغوي كرسالة، أي كنص يقوم بوظائف إبلاغية في الاتصال بالناس، وحمل المقاصد إليهم. فالرسالة تخلق (الأسلوب)، إلا أن الخطاب الأدبي خطاب متميز بفعل أن (الوظيفة الشعرية) هي التي تغلبت فيه؛ فهو خطاب مركب في ذاته، ولذاته"⁴²، فمفهوم الأسلوب يشكل رسالة ضمنية متكاملة في حد ذاته، لأنه يحمل نفس الخصائص التأثيرية للغة، يعكس طريقة التفكير اللغوي للمرسل من خلال الاختيار والتركيب بين مفردات اللغة، لأنه يساهم في إبراز القيمة التأثيرية للرسالة ككل، وينظمها من خلال وضعها في سياقها وتحديد مقامها "وعلى هذه الشاكلة، يكون (الأسلوب) هو الوظيفة المركزية المنظمة للخطاب، وهو يتولد من ترافق عمليتين متواليتين في الزمن، متطابقتين في الوظيفة، هما: (اختيار) المتكلم لأدواته التعبيرية من الرصيد المعجمي الذي للغة؛ ثم (تركيبها) تركيبا تقتضي بعضه قواعد النحو، كما يسمح ببعضه الآخر التصرف في الاستعمال"⁴³.

أما سيدلير Siedler فيقول: "الأسلوب هو طابع العمل اللغوي وخاصيته التي يؤديها، وهو أثر عاطفي محدد يحدث في نص ما بوسائل لغوية، وعلم الأسلوب يدرس ويحلل وينظم مجموعة الخواص التي يمكن أن تعمل بالفعل-في لغة الأثر الأدبي، ونوعية تأثيرها، والعلاقات التي تمارسها التشكيلات الفعالة في العمل الأدبي"⁴⁴ فهو نوع من الاستعمال اللغوي له صبغة تأثيرية في المتلقي يوظفها المبدع، لـ "أن ما يميز المتلقي امتلاكه حاسة التوقع والانتظار، وكلما قدم له المبدع ما يخالف هذا التوقع وذاك الانتظار فإنه يمتلك قمة البيان الأسلوبي الذي لا يكون إلا مجموعة طاقات وإمكانيات لغوية، والمبدع الفنان هو الذي يمتلك ناصية هذه الطاقات بحيث لا يكتفي بأداء المعنى وحده وبأوضح السبل، وإنما يجب أن يكون الوضوح في أجمل ثوب، بحيث يختار المبدع الشكل الملائم ليعبر عما يخالجه"⁴⁵، لذلك لا يوجد إبداع أدبي دون متلق، فالمبدع يكتب لمن سيقراً له، والمتلقي هو الشخص الذي يشغل ذهنه أثناء الإبداع. وهذا تفسير يعتمد كثيرا المنطق التأثيري للغة ويجعل العلم فيها محددا بالانطباع الحادث في نفس المتلقي وهو المذهب نفسه الذي سلكه ميكائيل ريفاتير Michael Riffaterre حين

والعلاقات الترابطية.⁴⁸

خاتمة

المعرفة.

وعليه؛ فتعريفات اللغة الأدبية والأسلوب جاءت كلها تصب في أنهما يشكلان وحدة عضوية لا يمكننا فهمهما بمعزل عن بعضهما البعض، ذلك لأن لكل مستوى من التفكير يستلزم بالضرورة اختيار لغة معينة وأسلوب خاص يتم تشكيلهما وتكييفهما من طرف الفكر لتحقيق التواصل، ليتم خلق التفاعل بين الذات، لهذا تختلف أشكال توظيفهما باختلاف مدركات المبدعين واختلاف أسلوب توظيف الكلمات داخل النص وبسببهما يختلف مستوى الفهم والقدرة على الإدراك الذهني لدى المتلقى، حيث تتحوّل اللغة العادية بهما إلى لغة عليا

لوجود علاقة متناسقة تجمع بين الوعي الذهني والنسق التطوري للأسلوب الأدبي في عملية تقديم المعرفة أو التعبير عنها.

لذلك فمن الطبيعي أن يكون محور تفاسير اللغويين والفلاسفة للنص الأدبي يحوم حول فهم طريقة صياغة الأسلوب الفكري المناسب للكتابة الأدبية كتعبير عن رؤية اجتماعية مادية تعكس قناعاته، بما أن الكتابة الأدبية ليست معطى جاهزاً أو مستقراً ضمن منظومتهم الفكرية، ولكنها بحث دائم ومستمر، لأنها تعبير عن صورة الوعي الجمالي المدرك للأشكال، والذي قد يختلف كثيراً عن صور الوعي المتكونة لدى المجتمعات الأخرى.

مراجع البحث وإحالاته:

1 Georges Molinié, Éléments de stylistique française, Paris, PUF, 1986, p. 84 .

2 غيورغيغاتشاف، الوعي والفن، دراسات في تاريخ الصورة الفنية، تر: نوفل نيوف، عالم المعرفة ع 146، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1990، ص 33

3 رشيد يحيوي: مقدمات في نظرية الأنواع الأدبية، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط 1، 1991، ص 100.

4 بيريغرو، الأسلوبية، تر منذر عياشي، مركز النماء الحضاري، حلب، سوريا، ط 2، 1994، ص 33

5 رولان بارت، اللغة والخطاب الأدبي (مقالات لغوية في الأدب)، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 1993، ص 53

6 نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 1998، ص 178.

7 محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، إستراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 2، 1986، ص 120.

8 مشير باسيل عون، الفسادة الفلسفية بحث في تاريخ علم التفسير الفلسفي الغربي دار المشرق، ط 1، 2004، ص 127

9 منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط 1، 2002، ص 69

10 ميرلو بونتي، هل هناك فكر من غير لغة؟، دفاتر فلسفية، اللغة، تر: محمد سبيلا دار توبقال، الدار البيضاء، ط 1، 1998، ص 63

11 منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا، 1990، ص 134

12 يوسف أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2007، ص 42

13 رينيه ويليك، أوستن وارن: نظرية الأدب، تر: عادل سلامة، دار المريخ السعودية 1991، ص 313، 314.

14 جورج موانان، اللغة والتعبير، دفاتر فلسفية، اللغة، ص 11

15 نيتشه، الاعتقاد في اللغة، دفاتر فلسفية، اللغة، ص 14

16 تيري إيغلتن، نظرية الأدب، تر: نائير ديب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ط 1، 1995، ص 109

- 17 عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2000، ص33
- 18 التهامي الراحي الهاشحي، توطئة لدراسة علم اللغة التعاريف، دار آفاق عربية، بغداد، ط1، 1976، ص45
- 19 ديسوسيرفريدناند، علم اللغة العام، تر: يوثيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية بغداد، 1985، ص27
- 20 Pierre Guiraud, La stylistique, Paris, PUF, 1979, p. 16.
- 21 أندري لالند، الموسوعة الفلسفية، مج3، ترخليل احمد خليل، عويدات، بيروت، ط3، ص1341
- 22 ينظر: صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، مصر، ط1، 1998، ص195
- 23 محمد عبد المطلب البلاغة والأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر لونغمان، مصر، ط1، 1994 ص225.
- 24 ميشيل فوكو، الكلمات والأشياء، تر: مطاع الصفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1990 ص52
- 25 ينظر: صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ص 195
- 26 الوعي والفن عالم المعرفة ع146، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت فبراير 1990 ص28
- 27 فيلي ساندريس نحو نظرية أسلوبية لسانية تر خالد محمود جمعة، دار الفكر دمشق، ط1، 2003 ص30
- 28 أفلاطون، المأدبة، ترجمة ولیم الميري، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1954، ص13.
- 29 Martin Heidegger, Lettre sur l'humanisme, traduit par Roger Munier Aubier, Editions Montaigne, Paris, 1964, P 61 .
- 30 جون كوهين، اللغة العليا النظرية الشعرية تر: أحمد درويش، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط2، 1999، ص11
- 31 فيلي ساندريس، نحو نظرية أسلوبية لسانية، ص29
- 32 ينظر: صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ص 97
- 33 Maurice Blanchot: Le livre à venir, Folio /Essais, Gallimard, 1995, p. 281
- 34 صلاح عبد الصبور، نبض الفكر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1984، ص 85.
- 35 عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، دراسة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000، ص44
- 36 ماريو فرنسوا غويار الأدب المقارن تر: هنري زغيب منشورات عويدات بيروت – باريس، ط1، 1978، ص 11
- 37 ينظر: صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ص 145
- 38 Georges Molinié, le livre cité, p. 201.
- 39 tzvetanTodorov, littérature et signification paris Larousse, 1967, page102
- 40 جورج مونان، اللغة والتعبير، دفاتر فلسفية، اللغة، ص10
- 41 Roman Jakobson essaie de linguistique général-paris édition de minuit, 1970 page21
- 42 ينظر: عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية، ص45
- 43 ينظر: المرجع نفسه. ص46
- 44 ينظر: صلاح فضل علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ص 98
- 45 محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوب، ص 197.
- 46 M. Riffaterre, Essais de stylistique structurale, Flammarion, Paris, 1971, p. 32
- 47 يوسف ابو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ص 37
- 48 عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية، ص 37، 38